

أثر الإيمان في السعادة

شرح رسالة

قطعة

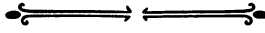
من:

الرسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد



هذا الموصوف بهذين الوصفين<sup>(١)</sup> يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر والصبر وما يتبعهما<sup>(٢)</sup>؛ فَيَحْدُثُ لَهُ السُّرُورُ وَالْإِبْتِهَاجُ، وَزَوَالُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَالْقَلْقُ، وَضِيقُ الصَّدْرِ، وَشَقَاءُ الْحَيَاةِ، وَتَمُّ لَهُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي هَذِهِ الدَّارِ<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «هذا الموصوف بهذين الوصفين»: يعني به من قام به هذان الوصفان، وهما الإيثار، والعمل الصالح.

(٢) قوله: «يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر، والصبر، وما يتبعهما»: يعني أن ذلك الإنسان المتصف بالإيثار والعمل الصالح - يُحَسِّنُ اسْتِقْبَالَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَيَسْتَقْبَلُ النِّعْمَاءَ بِالشُّكْرِ، وَيَسْتَقْبَلُ الضَّرَاءَ بِالصَّبْرِ، وَمَا يَسْتَتَبِعُ ذَلِكَ مِنَ السُّكِينَةِ، وَالرِّضَا، وَحَسَنَ التَّدْبِيرِ لِلْعَوَاقِبِ مِمَّا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِعْتِدَالِ.

وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك عند التعليق على حديث صهيب الأنفي الذكر. وهذا ما عبر عنه العقلاء، والحكماء، قال عبدالعزيز بن زرارَةَ الكلابي:

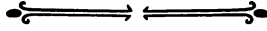
قد عشت في الدهر أطواراً على طُرُقٍ شتى فصادفت منها اللينَ والبشعا  
كُلًّا بلوتُ فلا النعماء تبطرنِي ولا تخشعت من لأوائها جزعا  
وقال البعيث - أو تأبط شراً -:

ولست بمفراح إذا الدهر سرنِي ولا جازعٍ من صِرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ<sup>(١)</sup>  
وقال ذو الحُرْقِ الطُّهُوي:

فيئني إينافانا معشر صُبْرٌ في الجذب لا خِفَّةً فينا ولا نَزَقَ<sup>(٢)</sup> =

(١) عيون الأخبار (١٠/٢٧٦ و ٢٨١).

(٢) الأصمعيات: عبد الملك بن قريب (ص ١٢٤).



= وقال علي بن المقرب العيوني:

وما أنا في السراء يوماً فرُّوحُها ولا أنا في الضراء يوماً جَزُوعُها<sup>(١)</sup>

(٣) قوله: «فيحدث له السرور...» إلى قوله: «هذا الدار»: يشير إلى أن من كانت هذه حاله من لزوم الاعتدال حال اختلاف الواردات عليه من سراء، وضرراء - فهو السعيد حقاً؛ فذلك الاعتدال يمدّه بالسرور، والبهجة، ويزيل عنه جميع ما ينافي ذلك؛ فتكتمل سعادته، ويتعاضم سروره؛ بسبب طمأنينة نفسه، وتوطئتها على استقبال كل وارد.

إن نابه فرح أو جاءه ترح في الحالين يقول: الحمد لله

فلا تأخذه دهشة الفرح بسبب خير ناله؛ فيخرج عن طوره، ولا تقنطه المصيبة إذا حلت به؛ فتسلبه لُبّه.

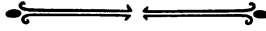
وإنما يستقبل ذلك بسكينة ووقار وثبات؛ فقد يأتيه بشارة بولدٍ بعد طول انتظار، أو بربحٍ جزلٍ في تجارةٍ ما، أو نجاحٍ باهرٍ في أمرٍ من الأمور؛ فيستقبل ذلك بشكر، ورزانة، وركانة، ورضانة.

وقد يفجع بوفاة حبيب أو قريب، أو خسارةٍ ماليةٍ فادحةٍ، أو باكتشاف مرضٍ خطيرٍ في جسده؛ فتراه يستقبل ذلك بصبر، وثبات، واسترجاع، وتماسك.

وإذا أُعطيَ عطاءً - ولو كان جزلاً - استقبله بوقار، وسكينة - كما سيأتي -.

وإذا أُعطيَ عطاءً - ولو كان جزلاً - لم يتبختر، ولم يتكبر، ولم يُعظّم =

(١) علي بن المقرب العيوني حياته وشعره: د. علي الخضير (ص ٢٢٧).



.....

= عطاءه، بل يقدمه بكل سكينه، وهدوء، على نحو قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي - في بيته اللذين قيل: إنهما أحسن ما قيل في المديح -:

ولئن فرحتَ بما ينيلك إنه      لبما ينيلك من نداءه أفرح  
ما زال يعطي ساكتاً أو ناطقاً      حتى ظننت أبا عقيل يمزح  
فهذه - إذاً - حال المؤمن حقاً مع تقلبات الأحوال.